القسام تزفّ كوكبة من كبار قادتها

القائد المجاهد محمد الضيف شهيداً على طريق القدس

أعلن المتحدث العسكري باسم كتائب عز الدين القسام أبو عبيدة استشهاد كوكبة من كبار قادة كتائب القسام على رأسهم قائد هيئة الأركان محمد الضيف "أبو خالد". وفي كلمة مصورة، قال أبو عبيدة: "يا شعب الشهداء ومصنع الرجال والأبطال، يا مجاهدي ومقاومي شعبنا وأمتنا، يا جماهير أمتنا العربية والإسلامية، ويا أحرار العالم في كل مكان، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بكل آيات الشموخ والكبرياء والافتخار، وبعد استكمال كل الإجراءات اللازمة والتعامل مع كل المحاذير الأمنية التي تفرضها ظروف المعركة والميدان، وبعد إجراء التحقق اللازم واتخاذ كافة التدابير ذات الصلة، فإن كتائب الشهيد عز الدين القسام تزف إلى أبناء شعبنا العظيم، وإلى أمتنا، ولكل أنصار الحرية والمقاومة في العالم، استشهاد ثلة من المجاهدين الكبار والقادة الأبطال من أعضاء المجلس العسكري العام لكتائب الشهيد عز الدين القسام:

-شهيد الأمة الكبير القائد محمد الضيف (أبو خالد) قائد هيئة أركان كتائب القسام. - القائد الكبير الشهيد مروان عيسى (أبو البراء) نائب قائد أركان كتائب القسام. - القائد المجاهد الشهيد غازي أبو طماعة (أبو موسى) قائد ركن الأسلحة والخدمات القتالية. - القائد المجاهد البطل رائد ثابت (أبو محمد) قائد ركن القوى البشرية. - القائد المجاهد البطل رافع سلامة (أبو محمد) قائد لواء خان يونس. - قائد لواء الشمال أحمد الغندور.-قائد لواء المحافظة الوسطى أيمن نوفل.

وأكد أبو عبيدة: "أن استشهاد القادة العظماء لن يفت في عضدنا"، مشيرًا إلى أنه لم تتعرض منظومة كتائب القسام لفراغ قيادي ولو للحظة واحدة خلال معركة "طوفان الأقصى".وتابع: "بعد استشهاد القادة استبسل مجاهدونا أكثر وأكثر وزادت دافعيتهم للقتال أكثر، فنحن نقاتل عن عقيدة والقائد يخلفه ألف قائد"، قائلًا "إن القادة الشهداء ارتقوا خلال معركة "طوفان الأقصى" مُقبلين غير مدبرين في مواطن الشرف والبطولة والعطاء، بين غرف عمليات القيادة أو الاشتباك المباشر مع قوات العدو في الميدان، أو في حال تفقد صفوف المجاهدين وتنظيم سير المعركة وإدارة القتال".

القائد الشهيد محمد الضيف في سطور

وُلد القائد الشهيد المجاهد محمد دياب إبراهيم المصري، المعروف بـ"محمد الضيف" عام ١٩٦٥، ضمن عائلة فلسطينية تعود جذورها لقرية كوكبا والتي تعرّضت للتهجير من داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة ١٩٨٤، ونشأ وترعرع في مخيم خان يونس للاجئين جنوب قطاع غزة، حتى يستقر به المقام في مخيم خان يونس للاجئين جنوب قطاع غزة.

تتكون أسرته من خمسة عشر فردًا، إذ كان والده يعمل في صناعة الوسائد وتنجيد الفرش. تلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي في مدارس مخيم خان يونس، كما بقية اللاجئين الفلسطينيين الذين هُجروا من ديارهم وأرضهم وممتلكاتهم.وشكلت مساجد منطقته مرحلة انطلاقته بالعمل الإسلامي منذ صباه، إذ نشأ في بيئة المقاومة، وتأثر منذ صغره بواقع الاحتلال وظروف اللجوء القاسية، وهو ما دفعه للانخراط في صفوف الحركة الإسلامية خلال دراسته في الجامعة الإسلامية بغزة، كما درس العلوم وحصل على شهادة البكالوريوس في تخصص الأحياء من الجامعة الإسلامية في غزة، والذي كان فيها من قادة العمل الطلابي ونشطاء الكتلة الإسلامية (الإطار الطلابي لحماس).

الانضمام لحماس

وفي هذا السياق، انضم الشهيد محمد الضيف إلى حركة "حماس" منذ نعومة أظفاره وكان عنصرًا نشيطًا في صفوف العمل الاجتماعي، حتى الإنطلاقة الرسمية لحركة حماس بالتزامن مع الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام ١٩٨٧، والذي كان الضيف من كوادرها الأوائل. كما اعتُقل في إطار الضربة الأولى التي وجهتها قوات الاحتلال للحركة في صيف عام ١٩٨٩ بتهمة الانضمام إلى الجناح العسكري للحركة الذي كان الشيخ صلاح شحادة (استُشهد في صيف ٢٠٠٢) قد أسسه آنذاك، وكان يحمل اسم "حماس المجاهدين" قبل أن يطلق عليه اسم "كتائب القسام"، وأمضى عامًا ونصف العام في السجن قبل تحرّره عام ١٩٩١.

كذلك، تدرج الضيف في العمل الأمني وملاحقة العملاء ثم في الجهاز العسكري لحركة حماس. وقد أصبح مطلوبًا بعد مشاركته في تنفيذ العديد من العمليات الفدائية والاشتباك مع قوات الاحتلال للاحتلال، ورفض تسليم نفسه لتبدأ رحلة أطول مطاردة ربما في التاريخ في مساحة جغرافية صغيرة وضيقة، إلا أنه استطاع خلال هذه الفترة، ومن خلال إتقانه للتخفي والبقاء في مكان واحد لفترة طويلة، أن لا يقع في قبضة قوات الاحتلال حيًّا أو ميتًا.وبرز دور الضيف بعد اغتيال عماد عقل الذي برز اسمه في سلسلة عمليات فدائية في تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٩٣، حيث أوكلت إليه قيادة "كتائب القسام"، عمل على قيادة وتنسيق مجموعات كتائب القسام بين الضفة الغربية وقطاع غزة بين عامي ١٩٩٣ - ١٩٩٤. وتمكن الضيف خلال هذه الفترة من التخطيط وتنفيذ عدة عمليات نوعية، وكذلك تمكن من الوصول إلى الضفة الغربية المحتلة وتشكيل العديد من الخلايا الفدائية هناك، والمشاركة في تنفيذ عدة عمليات فدائية في مدينة الخليل والعودة إلى قطاع غزة.

كما كان له الدور الكبير في التخطيط لعملية خطف الجندي الصهيوني نخشون فاكسمان عام ١٩٩٤ في بلدة بير نبالا قرب القدس والذي قتل وخاطفيه بعد كشف مكانهم، وكان قد ألقى بيان العملية بنفسه، وظهر الضيف وهو يحمل بندقية وبطاقة هوية فاكسمان التي هربت من الضفة الغربية إلى قطاع غزة، حيث كان ملثمًا بالكوفية الحمراء.ومع اشتداد الخناق على المطلوبين للاحتلال في قطاع غزة، رفض الضيف طلبًا بمغادرة قطاع غزة خشية اعتقاله أو استشهاده، لاسيما في ظل سياسة قصف المنازل التي يعتقد أن بها أي من المطلوبين، وقال كلمة مشهورة آنذاك: "نحن خلقنا لمقاومة الاحتلال إما أن ننتصر أو نستشهد"، وذلك على الرغم من موافقة عدد من زملائه على الخروج خارج القطاع.

كما استطاع أن يؤمن وصول المهندس يحيى عياش، أحد خبراء المتفجرات في الضفة الغربية إلى قطاع غزة بعد تضييق الخناق عليه في الضفة الغربية، وللاستفادة من خبرته في صناعة المتفجرات، كما وقف الضيف وراء عمليات الثأر لعياش، بعد أن اغتيل بواسطة هاتف مفخخ مطلع عام ١٩٩٦، من خلال إرسال حسن سلامة إلى الضفة الغربية للإشراف عليها، حيث قتل في هذه العمليات الفدائية حوالى ستين صهيونيًا.

توارى الضيف كليًا عن الأنظار بعد تنفيذ عمليات الثأر لعياش في ربيع عام ١٩٩٦، وشنت السلطة الفلسطينية عملية ملاحقة له في إطار الضربة الكبيرة التي وجهتها لحركة "حماس"، واعتقلت المئات من قادتها وعناصرها آنذاك. واستطاعت السلطة بعد ذلك اعتقال الضيف عام ٢٠٠٠ بحجة أنها تريد حمايته من القصف الصهيوني، وسمحت السلطة آنذاك لمحققين من جهاز المخابرات الأميركي المعروف باسم "السي آي إيه" من التحقيق معه. وتمكن الضيف فيما بعد من انتزاع حريته من سجن الأمن الوقائي بغزة ليعود لتشكيل خلايا القسام من جديد بعد مصادرة سلاحهم وذخائرهم، وبدأ بالاستعداد لتنفيذ المزيد من العمليات حتى اندلعت انتفاضة الأقصى في أيلول من عام ٢٠٠٠.

اغتيالات فاشلة وإرادة لا تنكسر

وبعد عام من اندلاع الانتفاضة تعرض الضيف لعملية الاغتيال الأولى، حيث كان برفقة عدنان الغول (استشهد في ٢٢ تشرين أول/أكتوبر ٢٠٠٤) خبير المتفجرات في كتائب القسام ونجله بلال؛ بعد أن أطلقت عليهم طائرة صهيونية صاروخًا في بلدة "جحر الديك"، وقد نجيا من الاغتيال بأعجوبة بعد استشهاد بلال في القصف ليغطي على والده ورفيق دربه.

ورغم أن الاحتلال الصهيوني نفذ العديد من محاولات اغتيال على الأقل ضد محمد الضيف، إلا أنه نجا منها جميعًا، وإن كان بعضها قد أوقع إصابات بالغة في جسده. كانت أخطر هذه المحاولات في عام ٢٠١٤، خلال العدوان الصهيوني على غزة، حيث استهدفت طائرات الاحتلال منزله وقتلت زوجته وابنه، لكن الضيف خرج من تحت الركام ليواصل قيادة المعركة.

قيادة الجهاز العسكري

وبعد استشهاد شحادة في صيف عام ٢٠٠٢ أعادت قيادة الحركة المسؤولية للضيف لقيادة الجهاز العسكري. وفي السادس والعشرين من أيلول من عام ٢٠٠٢، نجا الضيف من عملية اغتيال ثانية أصيب بها بجروح بعد قصف السيارة التي كانت تقله في حي الشيخ؛ حيث استشهد مرافقاه وأصيب بجراح خطيرة للغاية. كما تحدثت مصادر فلسطينية عن تعرض الضيف لمحاولة اغتيال ثالثة في قصف أحد المنازل في صيف ٢٠٠٦ خلال العملية العسكرية الصهيونية بعد أسر الجندي الصهيوني جلعاد شاليط، إذ قيل إنه أصيب بجراح خطيرة، دون أن يؤكد ذلك من كتائب القسام.

منذ توليه القيادة، أدار الضيف العديد من العمليات الفدائية ضد الاحتلال الصهيوني، وكان من أبرز المهندسين لتطوير القدرات العسكرية لحماس، بما في ذلك تصنيع الصواريخ المحلية وإنشاء شبكة الأنفاق العسكرية التي تحولت إلى عامل حاسم في معارك غزة. كما قاد عمليات كتائب القسام في قطاع غزة حتى تحريره من المستوطنات عام ٢٠٠٥، وحوّل القسام من مجموعات وخلايا إلى جيش شعبي.

الوفاء للمسجد الأقصى

وفي شهر أيار/مايو عام ٢٠٢١ تصاعدت حدة الاعتداءات الاستيطانية على المسجد الأقصى المبارك، وحاولت سلطات الاحتلال تهجير سكان حي الشيخ جراح، وفي لحظة محاولة مجموعات المستوطنين إطلاق مسيرة الأعلام قرب باب العامود، قصفت كتائب القسام مدينة القدس المحتلة برشقة صاروخية ضخمة بأمرٍ من قائد الأركان محمد الضيف، فيما استمرت المعركةً لأيام فرضت خلالها المقاومة الفلسطينية فصلًا جديدًا من فصول المواجهة مع الاحتلال. وقد برز اسم محمد الضيف بعد المعركة كقائدًا فعليًا لها، وارتبط اسمه بها بشكلٍ وثيق، ليصبح الملهم لتشكيلات المقاومة الفلسطينية وجمهورها في الضفة الغربية.

قائد في الظل، حاضر في المعركة

لا يظهر محمد الضيف في الإعلام، ولم يُعرف له سوى تسجيلات صوتية معدودة، لكنه حاضر بقوة في كل مواجهة مع الاحتلال، حيث يُنظر إليه باعتباره العقل المدبر للتكتيكات العسكرية التي غيرت طبيعة المواجهة بين المقاومة والاحتلال. وخلال معركة "سيف القدس" عام ٢٠٢١، كان الضيف وراء استراتيجية استهداف تل أبيب بالصواريخ ردًا على الاعتداءات الصهيونية في القدس والمسجد الأقصى، وهو ما فرض معادلة ردع جديدة وأظهر مدى تطور المقاومة الفلسطينية.

قيادة "طوفان الأقصى"

وفي السابع من تشرين الأول عام ٢٠٢٣، أطل القائد الضيف ليعلن انطلاق معركة "طوفان الأقصى" التي أشرف عليها وحضر في ميدانها حتى ارتقى شهيدًا. إنّ من أبرز أسباب الطوفان هو سلوك الاحتلال الصهيوني، ومخططاته القائمة على حسم الصراع، وفرض السيادة على القدس بمقدساتها، تمهيدًا للتقسيم المكاني والزماني، وبناء الهيكل المزعوم.

وعلى مدار عقود وضع الاحتلال الصهيوني محمد الضيف على رأس قائمة المطلوبين، وعدّته أخطر شخصية فلسطينية تهدد أمنها. ورغم كل الجهود الاستخباراتية، لم يتمكن الاحتلال من الوصول إليه، ما جعله يتحول إلى أسطورة وكابوس يطارد الاحتلال، حتى رحل كما يحب شهيدًا في ميدان أعظم معركة شارك في التخطيط لها وقيادتها، وهي المعركة التي أثبتت هشاشة كيان الاحتلال وقابليته للهزيمة.

وعلى مدار شهور المعركة نجحت كتائب الشهيد عز الدين القسام في الاستمرار بعملياتها الناجحة والتي أوقعت الخسائر في صفوف جيش الاحتلال، ثم الاحتفاظ بأسرى الاحتلال الذين اعتقلتهم يوم السابع من تشرين الأول ٢٠٢٣، لتعلن أخيرًا بعد انتهاء المعركة عن استشهاد قائدها العام.

يرحل القائد محمد الضيف شهيدًا ويبقى تاريخه الحافل وبصماته حاضرة يستلهم منها الأحرار درب الحرية، وسط إجماع فلسطيني على أنه أحد رموز الصمود الذين صنعوا معادلات جديدة في المواجهة مع الاحتلال، ويقينهم قائد يستشهد يخلفه ألف قائد.

حركات المقاومة الفلسطينية تُبارك

وبعد إعلان المتحدّث العسكري باسم كتائب عز الدين القسام أبو عبيدة استشهاد كوكبة من كبار قادة كتائب القسام على رأسهم قائد هيئة الأركان محمد الضيف "أبو خالد"، توالت ردود الفعل المهنّأة بهذه الشهادة حيث أصدرت كل من حركة حماس وحركة الجهاد الاسلامي وحزب الله وحركة المجاهدين الفلسطينية وجناحها العسكري كتائب المجاهدين والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين وألوية صلاح الدين الذراع العسكري للجان المقاومة والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وحركة فتح الانتفاضة ببيانات بهذه المناسبة.

١١٠ أسرى يعانقون الحرية

في سياق آخر وبعد مماطلة وتأخير لساعات عن سابق تصور وتصميم من قبل حكومة العدو، حرّرت المقاومة الفلسطينية، ١١٠ أسرى فلسطينيين من سجون الاحتلال الصهيوني، ضمن الدفعة الثالثة من المرحلة الأولى لـ"صفقة" تبادل الأسرى مع المقاومة.

وفي التفاصيل، فإنّه من بين المفرج عنهم، ٣٢ أسيرًا محكومًا عليهم بالسجن المؤبد، و٤٨ أسيرًا بأحكام مختلفة، و ٣٠ أسيرًا من الأطفال، ومنهم من سيعود إلى الضفة الغربية والقدس المحتلة، وآخرين إلى قطاع غزة.

يُذكر أنّ زكريا الزبيدي من بين الأسرى المحرّرين، وهو أحد أبطال نفق الحرية في عام ٢٠٢١، بالإضافة إلى القائد محمد عطية أبو وردة، المحكوم ٤٨ سنة مؤبد، والذي يُعتبر من أخطر الأسرى المحرّرين على العدو الصهيوني.

كما سلّمت كتائب الشَّهيد عز الدين القسّام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس، المجندة الصهيونية الأسيرة آغام بيرغر، في مخيم جباليا شمال قطاع غزة. وتمت عملية إخراج الأسيرة بيرغر من بين ركام أحد المنازل التي دمرها الاحتلال في مخيم جباليا، وسط مشهد مهيب من تجمع المواطنين الذين كانوا يهتفون بأناشيد القسام، رافعين الأعلام الفلسطينية.

كما سلمت كتائب القسام وسرايا القدس، المحتجزين الصهاينة أربيل يهود وغادي موزيس إلى الصليب الأحمر من أمام منزل رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية "حماس" الشهيد يحيى السنوار، إضافة إلى خمسة محتجزين من الجنسية التايلاندية، بحضور الآلاف من الفلسطينيين في مدينة خان يونس.

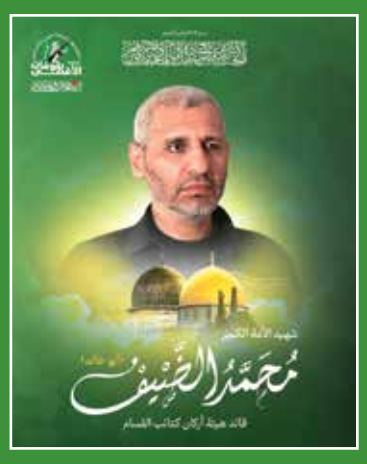

أبو عبيدة: القادة الشهداء ارتقوا خلال معركة "طوفان الأقصى" بين غرف العمليات أو الاشتباك المباشر مع قوات العدو

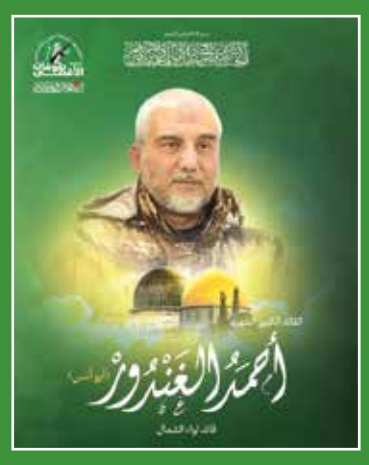

ضمن الدفعة الثالثة..١١٠ أسرى يعانقون الحرية في "طوفان الأحرار"